سبع سنوات على سقوط صنعاء

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تمرّ هذه الأيّام الذكرى السنوية السابعة لوضع الحوثيين (جماعة أنصار الله) أيديهم على صنعاء التي تحوّلت من عاصمة اليمن إلى عاصمة الإمارة التي قرّرت إيران إقامتها في اليمن. إنّها إمارة لا يمكن تشبيهها سوى بتلك التي أقامتها "حماس" في قطاع غزّة، على الطريقة الطالبانيّة (نسبة إلى طالبان) منتصف العام 2007، أي منذ ما يزيد على 14 عاما.

تحوّلت الإمارة الإسلاميّة التي أنشأتها "حماس"، وهي جزء لا يتجزّأ من تنظيم الإخوان المسلمين، إلى أمر واقع لقي دعما إيرانيا واضحا. يبقى أفضل دليل على هذا الدعم الصواريخ التي تطلقها "حماس" والتي استفادت منها إسرائيل كي تدمّر أحياء كاملة في غزّة وتبقيها تحت الحصار منذ سنوات عدة. حوّل الحصار الغزاويين، وعددهم مليونان، إلى نزلاء سجن كبير في الهواء الطلق بعدما كان هناك في القطاع مطار شرعي يحمل اسم ياسر عرفات... ومعابر مضبوطة بإشراف مراقبين أوروبيين مع رفح المصريّة.

لا فائدة من بقاء «الشرعيّة» على حالها. مثل هذه «الشرعيّة» التي اعتقدت في مرحلة معيّنة أن في استطاعتها استخدام الحوثيين لم تكن في يوم من الأيّام سوى أداة من أدواتهم، خصوصا في ظلّ تفاهمات من تحت الطاولة بين الإخوان المسلمين والحوثيين

مع وضع "حماس" يدها على غزّة، لم يعد من مكان لقرار فلسطيني واحد. بدل استغلال الانسحاب الإسرائيلي في آب – أغسطس 2005 من القطاع لتأسيس نواة لدولة فلسطينية، فعلت الحركة كلّ ما تستطيع من أجل خدمة الاحتلال الإسرائيلي مستفيدة من الفراغ الموجود في رام الله حيث لا رؤية سياسية واضحة لما يدور في المنطقة في ظلّ تعنّت إسرائيلي عبّر عنه بنيامين نتنياهو الذي بقي طوال 12 عاما رئيسا للوزراء.

تبقى المقارنة بين ما قامت به "حماس"، التي لقيت دائما دعما إيرانيا، وما قام به الحوثيون، الذين ليسوا سوى أداة إيرانية مهمّة. المقارنة مهمّة، علما أنه لا بد من الاعتراف بأنّ الحوثيين يمثّلون جزءا من المجتمع اليمني ومن تركيبته ولا يمكن تجاهلهم. المقارنة تبدو ضروريّة نظرا إلى إصرار "حماس" والحوثيين على فرض أمر واقع سياسي وعسكري على الأرض والتمدّد أكثر.

ثمّة طموح لدى "حماس" في أن تتحول إلى الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة. أمّا الحوثيون، فإنّ لديهم رغبة في أن يكون كلّ اليمن تحت سيطرتهم. لمّا فشلوا في ذلك، بعد إخراجهم من عدن وميناء المخا الاستراتيجي، باتوا يفكّرون في إقامة دولتهم الممتدة من مأرب إلى الحديدة. إنها دولة ذات حدود طويلة مع المملكة العربيّة السعوديّة. تفسّر هذه الرغبة الإصرار، الذي ترافقه استماتة، من أجل الاستيلاء على مدينة مأرب في ضوء أهمّيتها الاستراتيجية.

من المفيد التذكير بأنّ ثمة حاجة إلى حوار يمني – يمني. هذا ما أكّده بيان أميركي – بريطاني – سعودي – إماراتي في مناسبة مباشرة المبعوث الجديد للأمين العام للأمم المتحدة هانس غروندبرغ مهمّته.

يبدو أن هناك حاجة إلى النظر إلى المأساة اليمنية من زاوية مختلفة. ما يحدث في اليمن أخطر بكثير مما يحدث في قطاع غزّة حيث دخلت مصر على خط ضبط الوضع فيها في ضوء الحرب التي وقعت في أيّار – مايو الماضي.

يعني ذلك التفكير مليّا في إبعاد تحوّل الشمال اليمني إلى جرم يدور في الفلك الإيراني من جهة وكيفية مواجهة هذه الحالة الشاذة والغريبة التي تهدّد الاستقرار الإقليمي من جهة أخرى.

الفارق بين غزّة واليمن أن ليس في مناطق سيطرة الحوثيين من يمتلك أيّ قدرة على ضبط الوضع، خصوصا في ظلّ "شرعيّة" ممثلة بالرئيس المؤقت عبدربّه منصور هادي تتحمّل مسؤوليّة كبيرة عن سقوط صنعاء. من يتذكّر أن عبدربّه منصور رفض استخدام الجيش اليمني في التصدي للحوثيين في محافظة عمران فيما كانوا في طريقهم إلى صنعاء في تموز – يوليو من العام 2014 وذلك نكاية بعلي عبدالله صالح؟ ذهب الرئيس المؤقت إلى عمران بعد اجتياح الحوثيين لأحد المواقع العسكريّة وذلك بغرض التهنئة.

كلّ ما فعله الرئيس المؤقت منذ تسلمه الرئاسة في شباط – فبراير 2012 كان تفكيك الجيش اليمني، بما في ذلك الحرس الجمهوري، والإقدام على كلّ ما من شأنه الإساءة إلى علي عبدالله صالح وإلى ابنه أحمد الذي فرضت عليه أيضا عقوبات يصفها شخصيا بـ"الظالمة" بموجب قرار مجلس الأمن الرقم 2216 الصادر في نيسان – أبريل 2015.

لعلّ السؤال الأهمّ الذي لا بد من طرحه في هذه الأيّام هل من بقيّة جيش يمني بناه أحمد علي عبدالله صالح يمكن إعادة الحياة إليه؟ أم أن مثل هذا الخيار تجاوزته الأحداث؟

ثقافة الموت تعمّ اليمن

يبدو ضروريا الاهتمام باليمن والمأساة الإنسانيّة فيه من زاوية مختلفة، خصوصا في ظلّ كابوس سيطرة الحوثيين على مدينة مثل صنعاء وفرض ثقافة الموت عليها وعلى أهلها.

هذا لا يعني بأيّ شكلّ تجاهل أن الحوثيين جزء من التركيبة اليمنية. لكنّه يعني أن "الشرعيّة" القائمة لا فائدة تذكر منها. لا فائدة من بقاء هذه "الشرعيّة" على حالها. مثل هذه "الشرعيّة" التي اعتقدت في مرحلة معيّنة أن في استطاعتها استخدام الحوثيين لم تكن في يوم من الأيّام سوى أداة من أدواتهم، خصوصا في ظلّ تفاهمات من تحت الطاولة بين الإخوان المسلمين والحوثيين.

ظهر مع مرور الوقت أن "أنصار الله" يمتلكون من يسيّرهم ويحدّد لهم أهدافهم السياسية والعسكريّة بدقّة. الكلام الذي لا يعلو عليه كلام في صنعاء هو كلام السفير الإيراني حسن إيرلو الذي سارع إلى رفض المبادرة السعوديّة في آذار – مارس الماضي.

استخدم الحوثيون، ومن خلفهم إيران، عبدربّه منصور هادي في مرحلة معيّنة. وقعوا معه "اتفاق السلم والشراكة" مباشرة بعد استيلائهم على صنعاء في 21 أيلول – سبتمبر 2014. غدروا بعلي عبدالله صالح عندما وجدوا ذلك مناسبا لهم بعد ثلاث سنوات من ذلك. وفّر عبدربّه منصور عبر "اتفاق السلم والشراكة" شرعية للاحتلال الحوثي للعاصمة اليمنيّة!

ثمّة حاجة إلى إيلاء اليمن مزيدا من الاهتمام الدولي، بالأفعال وليس بالكلام والبيانات، في حال كان هناك استيعاب لما يعنيه تحوّل دولة الحوثيين إلى قاعدة صواريخ وطائرات مسيّرة في شبه الجزيرة العربيّة.

الأكيد أن هذا الأمر يتطلّب تغييرا في النظرة الأميركيّة إلى ما يدور في هذا البلد الفقير الذي يهدّد المرض والجوع الملايين من مواطنيه في ظلّ لامبالاة العالم. هل تعي إدارة جو بايدن ما على المحكّ في اليمن؟

وصل المازوت ورحل لبنان

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لا يُنسى منظر الأهالي في الشوارع وهم يلوحون بغبطة ترحيبا بقافلة المازوت الإيراني. أول الغيث هذا. صار اللبنانيون ينظرون إلى السماء بعد أن كانوا ينظرون من خلالها يوم كان لبنان قطعة منها.

طلب حزب الله من جمهوره بأن لا يحتفل بهذا اليوم العظيم. غير أن الناس خرجت تلقائيا من بيوتها فرحا. لم يزينوا الشوارع. لم يُرفع الأذان في المساجد ولم تُدق أجراس الكنائس. فصناع الحدث كانوا يكملون مسيرتهم الجليلة في خدمة الوطن، لذلك فإنهم لا ينتظرون ثناء من أحد.

أحرجتهم فرحة الشعب الذي سيزين أبواب بيوته بالمازوت تخليدا لهذا اليوم العظيم. لقد انتظرنا طويلا لحظة النصر هذه. كان أجدادنا الفينيقيون قد علمونا متى يجب أن نطفئ النار لكي لا تفسد الطبخة.

تلك معادلة لها صلة لينة بالمازوت الذي وصل أخيرا كالبشارة.

ليس لشجرة الأرز أي معنى ما لم يسل المازوت في أنابيب أرواحنا. إنه دم القصائد التي كتبها سعيد عقل والأخوان رحباني وميشيل طراد وأنسي الحاج ويوسف الخال وشوقي أبوشقرا من أجل أن يمشي اللبناني محلقا بغروره وتعاليه وأنفته من غير أن يلتفت إلى القبور.

تلك واحدة من حكايات اللبنانيين الذين ارتفع بهم الشعر إلى النجوم وهبط بهم حزب الله إلى جحور الفئران.

ولكن المازوت الإيراني وقد وصل مزينا بصور المنقذين الثلاثة، علي خامنئي وبشار الأسد وحسن نصرالله، أولئك هم صانعو المصير ونافخو الروح في الجثة، له حكاية أخرى. في اللحظة المناسبة وهي لحظة التاريخ شمر سيد المقاومة عن ذراعيه وقال "لبيك يا شعبي" فجرت أنهار المازوت للتذكير بأنهار اللبن والخمر والعسل التي تجري في مكان آخر. يضع بعض اللبنانيين أيديهم على قلوبهم مخافة أن يكون المازوت الإيراني شبيها بنترات الأمونيوم التي كانت سبب الكارثة التي ضربت الجزء التاريخي من بيروت.

هل جلبوا المازوت لنطبخ أم ليطبخونا به؟

ما من حديث لبناني يخلو من الطبخ، حتى لو كان ذلك الحديث سياسيا. ولكن ما معنى السياسة في لبنان؟ هي طبخة صار على اللبنانيين أن يهضموها. إن كانت صالحة فالعالم كله يصغر أمام لبنان وإن كانت فاسدة فعلى الشعب أن يتمتع بشيء من الديمقراطية لكي يقبل بالحلول الفاشلة. كان لبنان دائما حقل تجارب.

بعض اللبنانيين يضعون أيديهم على قلوبهم مخافة أن يكون المازوت الإيراني شبيها بنترات الأمونيوم التي كانت سبب الكارثة التي ضربت الجزء التاريخي من بيروت

لذلك فإن حزب الله وقد تحققت له الهيمنة الكاملة قرر أن يوقف تلك التجارب ويهدم المختبر على العاملين فيه. وخيرا فعل.

اللبنانيون فشلوا في استعادة لبنان ما قبل الحرب الأهلية وهم إذ يجرون ذيول هزيمتهم ليس لديهم غير اتفاق الطائف الذي صار نسخة مزورة عن ميثاق دولتهم. فهم طائفيون قبل الطائف وبعده وبعد أن قرر حزب الله أن ينسف الطائف. سيُقال إن اللبنانيين قد غُلبوا على أمرهم. ذلك ليس صحيحا. الصحيح أن اللبنانيين خدعوا بعضهم بعضا بعناوين كثيرة، كانت المقاومة أبرزها.

اقترح أحد الشعراء اللبنانيين أن يتخلى حزب الله عن سلاحه للدولة ويتفرغ لبيع المازوت. هي تجارة رابحة في انتظار قرار إيران بغلق حدود الجنوب اللبناني مع إسرائيل. ستكون وظيفة مريحة. فلبنان وقع ولم يعد ممكنا إنقاذه كدولة. صار التفكير في شعبه باعتباره حالة إنسانية معروضة في سوق المساعدات هو الأقرب إلى الواقع. ذلك واقع هو الصورة المثالية لما يكون عليه لبنان حين يخضع للولي الفقيه. ومَن زار الضاحية الجنوبية ببيروت لا بد أن تتشكل لديه فكرة عن لبنان المستقبل. إنه الرثاثة بكل معانيها.

لنعد إلى المازوت. الشعب في بعلبك خرج مبتهجا. باخوس خرج معهم وهو الذي صار يخشى أن تمزج خمره بالمازوت. سيكون مضحكا أن نفكر بالإمبراطور الروماني هادريان الذي لا يزال ينتظر في المتحف نبأ وصول المازوت. كم كان لبنان صغيرا. فكيف كان قطعة من السماء؟ ألا يشعر قدموس وهو إله الفينيقيين بالألم؟

لبنان اليوم يحتفل بالمازوت الإيراني ونسي المليارات الأميركية والسعودية التي أنعشت اقتصاده وجعلت شعبه يعيش بكرامة من غير أن يشعر أنه ضئيل بين الأمم.

سيكون على اللبنانيين في مستقبل أيامهم أن يلطخوا أجسادهم بالمازوت ليحتفلوا باليوم الوطني للمازوت. ذكرى اليوم الذي نزلت عليهم بركة الولي الفقيه الذي سرق أموالهم وجعل منهم ضحايا حاجاتهم اليومية. أمن أجل هذا تبتكر الشعوب مقاومتها؟

سيتردد اللبنانيون في أن يلوموا حزب الله قبل أن يلوموا أنفسهم. لقد استسلموا إلى درجة الهوان فصار عليهم أن يقبلوا بالمازوت بديلا من قدموس.

رحل لبنان يوم وصل المازوت.

اللبنانيون استسلموا إلى درجة الهوان

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk